

المحاضرة الثالثة

تعريفات : القصيدة ، الأرجوزة ، المعلقة، الحولية، الملحمة ، النقيضة،اليتمة، البيت

1-تعريف القصيدة:

القَصِيدَةُ مجموعة أبيات لا تَقَلُّ عن "السَّبْعَةِ أو التسعة" تَرْمِي إلى غرض واحد، وقد تكثر الأبيات فيها حتى تزيد على المئات غير أنَّ المُعَدَّلَ المألوف، وهو الذي اتفق عليه معظم شعراء الملعقات، وصدر الإسلام، والعصر الأموي يُراوح بين عشرين، وخمسين بيتًا، وتُبنى القَصِيدَةُ على بحر واحد، ورويِّ واحد، وتبدأ عادةً ببيتٍ مُصَرَّحٍ، يقول الدكتور عبد العزيز عتيق: (وليست وحدة الوزن، ووحدة القافية عَيْنًا في شعنا العربي، أو تقييدا له، فالتمسك بهاتين الوجدتين، والتزامهما من شأنه أن يُقوي بناء لقصيدة، ويرتفع بموسيقاها) إن القصيدة العربية بشكلها المعروف لم تعجز في يوم من الأيام عن استيعاب تجربة، أو تجسيد فكرة، أو الاستجابة لنداء هتفت به الحياة.

إن الشاعر إذا نظم بيتا واحداً سُمِّي البيت يَتِيماً، فإذا نظم بيتين سُمِّيَا ننتقة، وإذا نظم عدة أبيات لا تتجاوز الستة سُميت تلك الأبيات مقطوعة، أو قطعة.

2-تعريف الأرجوزة:

هي قصيدة على بحر الرِّجَز تختلف عن سائر القصائد في وجوه منها:

- بناء كلِّ بيت في الغالب على قافية واحدة صدرًا، وعجزًا، ثم بناء البيت التالي على قافية أخرى في صدره وعجزه.
- استخدام هذا النوع من القصائد في نظم القواعد، والعلوم، والفنون لا سيما ما يتعلق بقواعد اللغة.

- سهولة النظم على هذه الطريقة لكثرة الجوازات في بحر الرجز، وتيسر القوافي
المزدوجة في العربية .

- السّماح للنّاطم بأن يُعلق قافية بيّت بما يعده "التضمين" وهو غيرُ مألوف في القصائد
التقليدية العادية، تقول نازك الملائكة: (نوّضع العرب القوافي في العصور القديمة
حين نظموا الأراجيز العلمية مثل الألفيات في النحو، وغيرها).

هذا وقد تطورت الأراجيز، وأصبحت في العهد الأموي قصائد طوال، واستخدمت في
فنون الشعر المختلفة، واشتهر فيها رؤبة بن العجاج، وغيره.

3-اليتيمة:

هي القصيدة التي لم ينظم صاحبها غيرها، أو التي لم يُعرف صاحبها، وقد اشتهر بعض
الشُعراء بقصيدة واحدة مثل ابن زريق البغدادي صاحب العينية المشهورة التي منها قوله:

والله قسم بين الخلق رزقهم لم يخلق الله مخلوقاً يُضيعه

وأكثر ما تطلق كلمة اليتيمة على القصيدة الدالية المشهورة:

هل بالطول لسائل ردُّ أم هل لها بتكلم عهد؟

فهي تُنسب إلى أكثر من أربعين شاعرًا، ويكاد يقع الإجماع على أنها لدوقلة المنبجيّ، وهي
في ديوان أبي الشّيص الخُزاعيّ.

4-البيت:

البيت عُروضياً: مجموعة كلمات صحيحة التركيب موزونة حسب قواعد عروضية، وهو
ينقسم إلى شطرين متساويين.

وسمي البيت بهذا الاسم تشبيها له بالبيت المعروف، وهو بيت الشعر، لأنّه يضمّ الكلام كما
يضمّ البيت أهله، ولذلك سموا مقاطعه أسبابا، وأوتادا تشبيها لها بأسباب البيوت وأوتادها،
والجمع أبيات.

وبيت القصيد: هو البيت الذي يتضمّن غرض الشاعر، ويُعبر به عن لبّ الموضوع.

يقول رضوان الشَّهَّال: (البيت القديم حدُّ سَيْفٍ صَامٍ لا يعرف الهوادة يفصل بصرامة بين ما هو شعْرٌ، وما ليس بشعر).

وقد استحسن القُدَّامى أن يكون البيت في القصيدة مستقلاً بمعناه، قال عبد الرَّحمن بن خلدون: (وينفرد كل بيت منه بإفادته في تركيبته حتَّى كأنه كلام وحده، مستقلُّ عمَّا قبله، وما بعده)

أما النُّقاد المعاصرون فقد نادوا بالوحدة العَضوية أي (أن تكون القصيدة بنية حيَّة تنمو من داخلها باتساق تام نحو نهايتها).

هذا ولا بد من الإشارة إلى أن القصيدة الحرَّة، أو قصيدة التفعيلة استغنت عن البيت، وعوّضته بالسُّطر، تقول نازك الملائكة (اعتاد الجمهور أن يكون البين ذو الشَّطرين وحدة في القصيدة، فإذا هو اليوم يقرأ شعراً حطم فيه استقلال البيت تحطيمًا متعمداً قضى على عزلته، وأدمجه في الأبيات الأخرى).

5-المقطوعة:

هي أبيات شهرية قليلة (دون السبعة) مستقلة بمعناها. ومن مقطوعات أبي فراس الحمداني قوله (من البسيط)

وشادن من بني كسرى شُغفت به لو كان أنصفي في الحب ما جارا
إن زار قصر ليلي في زيارته وإن جفاني أطال الليل أعمارا
كأنما الشمس بي في القوس نازلة إن لم يزرني وفي الجوزاء إن زارا

ومن مقطوعات أبي نواس قوله (من الوافر المجزوء)

عتاب ليس ينصرم وحُبُّ ليس ينكتم
وجارية بليت بها كأن بنانها عنم
مخنثة مؤنثة بها ألم، وبى ألم
تجرر ذيل مئزرها وفارس أذنها قلم

جاء في (العمدة): (سئل أبو عمرو بن العلاء: هل كانت العرب تطيل؟ فقال: نعم، ليسمع منها. قيل: فهل كانت توجز؟ قال: نعم، ليحفظ عنها. قال: وقال الخليل بن أحمد: يطول الكلام ويكثر ليفهم، ويوجز ويختصر ليحفظ، وتستحب الاطالة عند الاعذار، والانداز، والترهيب، والترغيب، والإصلاح بين القبائل، كما فعل زهير، والحارث بن حلزة، ومن شاكلهما، وإلا فالقطع أطير في بعض المواضع، والطوال للمواقف المشهورات... وقال بعض العلماء: يحتاج الشاعر إلى القطع حاجته إلى الطوال، بل هو عند المحاضرات، والمنازعات، والتمثيل، والملح، أحوج إليها منه إلى الطوال... وقال الجاحظ: قيل لأبي المهوس: لم لا تطيل الهجاء؟ فقال: لم أجد المثل السائر إلا بيتاً واحداً...

غير أن المطيل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز، وإن أجاد، على أن للموجز من فضل الاختصار ما لا ينكره المطيل، ولكن إذا كان صاحب القصائد دون صاحب القطع بدرجة أو نحوها، وكان صاحب القطع لا يقدر على التطويل إن حاوله بته، سوي بينهما، لفضل غير المجهود على المجهود، فإننا لا شك أن المطول، إن شاء، جرد من قصيدته قطعة أبيات جيدة، ولا يقدر الآخر أن يمد من أبياته التي هي قطعة قصيدة).

6- شعر النقائض:

هو أحد فنون الأدب التي بدأت بواكيرها منذ العصر الجاهلي وتطورت وأصبحت فناً أدبياً قائماً بذاته في العصر الأموي على أيد ثلاثة شعراء أمويين هم الفرزدق وجريير والأخطل، ولكن نقائض فرزدق وجريير هي الأكثر شهرة وعمقا في هذا المجال من الأدب في تاريخ الأدب العربي على مر العصور .

ما هي النقائض؟ هي لون جديد من ألوان الأدب والمناظرات الأدبية ويرجع له الفضل الكبير في تسجيل أنساب العرب وحكاياتهم وصفاتهم وطريقة حياتهم وشكل أخلاقهم وعاداتهم في ذلك العصر - العصر الأموي - ، وقد أضاف هذا اللون من الأدب ثروة هائلة من الألفاظ إلى اللغة العربية .

تعريف النقائض لغة : هي جمع مفردة نقيضه، ولها أكثر من معنى، ولكن المعنى المراد هنا هو مناقضة القول أي أن تتكلم بخلاف معناه . أما تعريف النقائض اصطلاحاً فهو أن يهجو الشاعر شاعراً آخرًا أو أن يفتخر بنفسه أو بقومه أمامه بقصيدة على بحر معين وقافية محددة وروي ما فيرد عليه الشاعر الآخر على نفس البحر والقافية والروي بقصيدة من نفس الموضوع ولكن يضمنها هجاء معاكسا وفخرا يلغي فيه فخر الشاعر الأول بنفسه وينفيه . مثال على ذلك ما قاله الأخطل في هجاء بني كليب وهي قبيلة جرير ومفتخرا في نفس الوقت بقبيلة بني دارم قبيلة الفرزدق وذلك في قصيدة له يمدح فيها عبد الملك بن مروان : أما كليب بن يربوع فليس لهم * * * عند التفارط إيراد ولا صدر مخفون ويقضي الناس أمرهم * * * وهم بغيب وفي عمياء ما نظروا فيرد جرير عليه بالأبيات التالية : أرجو لتغلب إن غبت أمورهم * * * ألا يبارك في الأمر الذي إنتمروا خابت بنو تغلب إذ خلّ فارطهم * * * حوض المكارم إنّ المجد مبتدّر فالموضوع هنا جاء واحداً وهو الهجاء . والبحر الذي نظمت فيه أبيات الشعارين واحد وهو بحر البسيط .

وجاءت القافية كذلك واحدة وهي راء مضمومة في النقيضتين . وجاءت المعاني في أبيات الشعارين واحدة وهي الضعة والهوان . وجملة القول إذن فإن شعر النقائض هو ما تمثله قصائد الهجاء المتبادلة بين الشعارين الأمويين جرير والفرزدق ، حيث يمدح الأول ويفتخر في نفسه ويهجو ويذم الآخر بقصيدة ما ، ليرد الآخر عليه بقصيدة مقابلة من نفس البحر والقافية والروي والموضوع يفتخر هو الآخر فيها بنفسه ويهجو ويذم الآخر فيها أيضا . وقد قالوا : جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت في الصخر . الفرزدق : هو همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي وكانت كنيته أبو فراس وقد سمي الفرزدق لضخامة وتجهم وجهه ومعناها الرغيف وقد قيل لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث العربية .

جرير : هو أبو حرزة بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلابي اليربوعي التميمي ، وقد قيل عنه أنه هجا وهزم ثمانين شاعراً في عصره والوحيدان اللذان ثبتا أمامه هما الفرزدق والأخطل فقط .. ورغم ما كان بين الفرزدق وجرير من هجاء ونقائض في الشعر إلا أنهما

كانا صديقين قريبين وكثيرا ما شوهدا معا في الأسواق، وعندما توفي الفرزدق رثاه جرير بقصيدة مشهورة يمدحه ويعدد مناقبه فيها ومن شعر النقائض أيضا للفرزدق وجرير وهما من العصر الأموي أبيات من شعر النقائض للفرزدق يرد فيها على جرير أن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه اعزّ واطولُ بيتاً زرارة محتبٍ بفنائهِ ومجاشعٌ وابو الفوارس نهشلٍ لا يحتبى بفناء بيتك مثلهم ابداً اذا عُدّ الفعال الافضل حُلل الملوك لباسنا في اهلنا والسابغات الى الوغى نتسربل احلامنا تزن الجبال رزانةً وتخالنا جُنأً إذا لم نجعلُ خالي الذي غصب الملوك نفوسهم واليه كان حباء جفنة يُنقلُ انا لنضربُ راس كل قبيلةٍ وابوك خلف اتانه يتقملُ وأبيات من شعر النقائض لجرير يرد فيها على الفرزدق أخزي الذي سمك السماء مجاشعاً وبنى بناءك في الحضيض الاسفل بيتٌ يُحمم قينكم بفنائهِ دنساً مقاعدهُ خبيثُ المدخلِ قُتل الزبير وانت عاقد حبةٍ تباً لحبوتك التي لم تحللِ وافاك غدرك بالزبير على منى ومجرُ جعثكم بذات الحرمل بات الفرزدق يستجير لنفسه وعجان جعثن كالطريق المعمل لا تذكروا حُلل الملوك فإنكم بعد الزبير كحائضٍ لم تغسلِ كان الفرزدق اذ يعوذ بخاله مثل الدليل يعوذ تحت القرملٍ افخر بضبةً أن امك منهم ليس بن ضبةً بالمعم المخولِ ابلغ بني وقبان أن حلومهم خفت فلا يزنون حبة خردل.

7-الملحمة

هي قصة شعرية طويلة مليئة بالأحداث غالباً ما تقص حكايات شعب من الشعوب في بداية تاريخه وتقص عن تحرك جماعات بأكملها وبنائها للأمة والمجتمع. الملحمة حكاية بطولية تخبر عن حركة جماعات أو حركة الشعوب وحركة القبائل وهي نموذج إنساني يُحتذى به، يفعل بحياته وسلوكه ما يمكن أن يطمح المرء لتحقيقه. قد تحتوي الملحمة على أساطير قد تدخل الأسطورة في نسيج الملحمة ولكن لا تتداخل الملحمة مع الأسطورة فالملحمة شيء والأسطورة شيء آخر حيث أن الفرق الجوهرية بين الأسطورة والملحمة هو أن أبطال الأسطورة من الآلهة أما أبطال الملحمة فهم من البشر.

يعبر مصطلح "ملحمة" عن أعمال عسكرية كبرى ويعبر أيضا عن الأدب الذي يضم هذا النوع الأدبي. فنذكر مثلاً "ملحمة نابليون" التي تحتفي وتخلد أعمال نابليون بونابارت العسكرية وتجعل منها أسطورة .

هناك أيضا قصائد طويلة مثل "أفانجيلين" لهنري لونغفيلو و"الكوميديا الإلهية" لدانتي أليغييري مصنفة كملاحم رغم عدم تطابقها كلياً مع الخصائص التقليدية المتعارف عليها لهذا النوع الأدبي. من نفس هذا المنطلق، نستطيع تصنيف العديد من النصوص والروايات على شاكلة قصة غنجي كنصوص ملحمية بسبب الأبعاد التأسيسية وأهميتهم الكبرى في ثقافة شعب ما.

8- الحَوَلِيَّاتُ أو التاريخ الحولي:

هي مؤلفات تاريخية تسجل الوقائع والأحداث بترتيب زمني دقيق حسب السنوات. يعرف أحمد عالي ولد أحمد أبته الحوليات بأنها تخضع لتعاقب السنين المفردة، حيث تجمع مختلف الحوادث في كل سنة، وترتبط في ما بينها بعبارة "وفيها" أي: وفي السنة نفسها، فإذا انتهت حوادث السنة الواحدة، انتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية عن طريق استخدام عبارة "ثم دخلت سنة كذا" أو "جاء في سنة كذا".

يعتبر د. الطيب بوعزة أنه من المميزات المنهجية لمدرسة الحوليات هو اهتمامها الخاص بدراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية في مسار زمني طويل. لاعتقادها أن معنى الأحداث التاريخية الرئيسية لا يمكن أن تفهم في لحظتها الآنية، بل لا بد من التعمق في ماضيها، وفق مقطع زمني طويل يدرس بعناية وعمق.

تطورت الحوليات نحو بحث التاريخ من زاوية حضارية، بالتركيز على التمثلات الثقافية والاجتماعية. كان لهذه المدرسة حظوة خلال القرن العشرين، ويدافع عنها روادها بانتقاد المدرسة الوضعية التي أخذوا عليها اقتصار اهتمامها على الوثائق المكتوبة وإهمالها للآثار والوثائق غير المكتوبة وتركيزها على الحدث السياسي والعسكري، وإغفالها للأبعاد المجتمعية الأخرى وخصوصاً البعد الاقتصادي والثقافي.

9-المعلقات

هي من أشهر ما كتب العرب في الشعر وسميت معلقات. وقد قيل لها معلقات لأنها مثل العقود النفيسة تعلق بالأذهان. ويقال أن هذه القصائد كانت تكتب بماء الذهب وتعلق على أستار الكعبة قبل مجيء الإسلام، وتعدّ هذه القصائد أروع وأنفس ما قيل في الشعر العربي القديم لذلك اهتم الناس قديماً بها ودونوها وكتبوا شروحا لها، وهي عادة ما تبدأ بذكر الأطلال وتذكر ديار محبوبية الشاعر وكانت سهلة الحفظ وتكون هذه المعلقات من محبته له شعاره الخاص.

وقيل إن حماد الراوية هو أول من جمع القصائد السبع الطوال وسماها بالمعلقات (السموط). وكان يقول أنها من أعذب ما قال العرب وأن العرب كانوا يسمونها بالسموط (المعلقات). وقد ذهب الأدباء والكتاب من بعده لدراستها. مثل ابن الكلبي. وابن عبد ربه صاحب العقد الفريد وأضاف بكتابه أمر تعليقها بالكعبة. قد تجدهم سبع قصائد في كل كتاب قديم لكن منهم من أضاف قصيدة لشاعر وأهمل قصيدة شاعر آخر. فاحتاروا من هم السبعة. فجعلوها عشر. (تاريخ الأدب العربي، شوقي أبو خليل).

شرح المعنى: أصل كلمة "المعلقات": فالمعلقات لغةً من العلق : وهي المال الذي يكرم عليك، تظنّ به، تقول : هذا علقٌ مضنّة. وما عليه علقَةٌ إذا لم يكن عليه ثياب فيها خير، والعلقُ هو النفيس من كلّ شيء، وفي حديث حذيفة : «فما بال هؤلاء الذين يسرقون أعلقتنا» أي نفائس أموالنا. والعلق هو كلّ ما علق.

اصطلاحاً: قصائد جاهليّة بلغ عددها السبع أو العشر - على قول - برزت فيها خصائص الشعر الجاهلي بوضوح، حتّى عدّت أفضل ما بلغنا عن الجاهليّين من آثار أدبية.

والناظر إلى المعنيين اللغوي والاصطلاحي يجد العلاقة واضحة بينهما، فهي قصائد نفيسة ذات قيمة كبيرة، بلغت الذروة في اللغة، وفي الخيال والفكر، وفي الموسيقى وفي

نضج التجربة، وأصالة التعبير، ولم يصل الشعر العربي إلى ما وصل إليه في عصر
المعلّقات من غزل امرئ القيس، وحماس المهلهل، وفخر ابن كلثوم، إلاّ بعد أن مرّ بأدوار
ومراحل إعداد وتكوين طويلة.